

# نزل ليل التنفس

عند المحتسب



إعداد

إبراهيم بن توفيق البخاري



## مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على تعريف تزكية النفس عند المحتسب، ومشروعيتها من الكتاب والسنة، والوسائل المساعدة في تزكية النفس، وثمراتها، والمعوقات التي تعطل وتقلل من تزكية النفس عند المحتسب؛ وفق المنهج الاستقرائي الاستنباطي. ويستعرض البحث في خاتمته أهم النتائج، ومنها :

- 1 المحتسب بحاجة ماسة لتزكية نفسه نظير ما يحصل له من مواقف احتسابية لتكون له زاداً يقوي به إيمانه، ويثبت في طريقه .
- 2 يجوز للمحتسب أن يَصِفَ نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحذور مع مراعاة البعد عن الإعجاب بالنفس .
- 3 تعدد وسائل وثمرات تزكية النفس، مما يعطي المحتسب خيارات واسعة ويُنشِطه أكثر للسعي فيها، فمن وسائل تزكية النفس: الصلاة، والزكاة، والصوم، وحج البيت، وتلاوة القرآن .
- ومن ثمرات تزكية النفس: حلاوة الإيمان، وبذل النفس والمال في سبيل الله، وحسن الخلق، والسعادة في الدنيا والآخرة .
- 4 الاعتناء بعلاج معوقات تزكية النفس عند المحتسب مما يعطي ثمرة كبرى للاحتساب .

تَزْكِيَةُ النَّفْسِ

عند المحتسب

إعداد: إبراهيم بن توفيق البخاري

## مقدمة

(الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup> [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن الحديث عن تزكية النفس مما تتشوف إليه النفوس الطيبة التي تبادر لزكاتها كما أمر الله ورسوله ﷺ، والنصوص من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح في هذا الأمر كثيرة كما سيأتي بإذن الله. وأحوج الناس لتزكية النفس هم أهل الحسبة؛ نظراً لما يمر به المحتسبون من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٨٦٨).

مواقف وحالات هم بحاجة لتزكية نفوسهم قبلها وأثناءها وبعدها.  
ومن خلال استقراء لما كُتب في تزكية النفس عند المحتسب لم أقف على  
بحثٍ متخصص في الموضوع، غير بحوث عامة استفدت منها<sup>(١)</sup>.  
سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد وقبول العمل إنه جواد كريم.

وكتبه:

إبراهيم بن توفيق البخاري

Abo.mosab11@gmail.com

مكة المكرمة

شوال ١٤٤١هـ

(١) من أبرزها:

أولاً: تزكية النفس، لابن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني، طُبعت في دار المسلم للنشر والتوزيع عام ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، في حدود (٩٨) صفحة.

ثانياً: منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس أحمد كرزون، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، عام ١٤١٥هـ، غير منشور، في حدود (٦٠٠) صفحة.

ثالثاً: المستخلص في تزكية النفس، لسعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة-مصر، الطبعة العاشرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، في حدود (٥١٢) صفحة.

رابعاً: منهج ابن القيم الجوزية في تزكية النفس، د.رقية طه العلواني، طُبِع ضمن إصدارات مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، في رمضان عام ١٤٢٥هـ، في حدود (٤٨) صفحة.

## تمهيد:

### أولاً: تعريف الزكاة لغة واصطلاحاً:

**لغة:** الزكاة مأخوذة من زكا يزكو زكاء، أي: نما وطُهر، فالزكاة هي النماء والطهارة والبركة<sup>(١)</sup>.

والزكاة تأتي بمعنيين: زكاة الأموال، وزكاة النفوس<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

**اصطلاحاً:** هي التطهير بترك السيئات الموجبة لزكاة النفس وفعل الحسنات، ولهذا تفسر الزكاة تارة بالنماء والزيادة، وتارة بالنظافة والإمالة، والحقيقة أن الزكاة تجمع الأمرين، إزالة الشر، وزيادة الخير<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب، (٣٥٨/١٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٢٣٨/٣).

(٣) انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، (١٠٠/٥).

## ثانياً: تعريف النفس لغة واصطلاحاً:

**لغة:** تأتي بعدة معانٍ، من أبرزها<sup>(١)</sup>:

أولاً: بمعنى الروح، يقال خرجت نفس فلان، أي روحه.

ثانياً: بمعنى ذات الشيء وحقيقته.

ثالثاً: بمعنى التمييز.

**اصطلاحاً:** (هي شيء داخلي في كيان الإنسان لا تُدرك

ماهيته، جامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها

آثار ظاهرة في السلوك الإنساني، وقابل للتوجيه للخير أو

الشر)<sup>(٢)</sup>.

## ثالثاً: تعريف تزكية النفس:

(هي تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير

فيها مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان)<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الصحاح للجوهري، (٩٨٤/٣)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار لليحوي، (٢٢/٢)، لسان العرب

(٢٣٤/٦).

(٢) منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس أحمد كرزون، (ص: ٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٨).

ويمكن تعريفها بحديث النبي ﷺ: "أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ" (١).

#### رابعاً: تعريف المحتسب لغة واصطلاحاً:

**لغة:** اسم فاعل من احتسب، احتسب على فلان الأمر: أنكره (٢).

**اصطلاحاً:** (من نصبه الإمام، أو نائبه للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم، ومصالحهم) (٣).

وهو المحتسب المتبع للمنكرات طالباً لإنكارها والأجر في المنع منها (٤).

فيشمل بذلك المحتسب المتطوع، فالمعنى عام وليس خاص بالمحتسب المولى أو المنصب من قبل الإمام أو نائبه.

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير، رقم الحديث (٥٥٥)، (٣٣٤/١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨/٣).

(٢) المعجم الوسيط، (ص: ١٧١).

(٣) معالم القرية في طلب الحسبة، لابن الأخوة القرشي، (ص: ٧).

(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي، (ص: ٢٨٢).





لذا الأقرب أنه: (من يعمل على إقامة معروف متروك أو تغيير منكر ظاهر، متولياً كان أم متطوعاً)<sup>(١)</sup>.

### خامساً: تعريف تزكية النفس عند المحتسب:

مما سبق يمكن تعريف تزكية النفس عند المحتسب بأنها: سعي المحتسب لتطهير نفسه من نزعات الشر والإثم، وتنمية الخير بإنكاره للمنكرات طالباً الأجر في المنع منها.

### المبحث الأول: مشروعية تزكية النفس:

جاءت العديد من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تحض على تزكية النفس وكذلك كلام أهل العلم، ومن ذلك:

#### أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، وقوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، وقال الله تبارك وتعالى واصفاً إسماعيل -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾

(١) القواعد الأصولية المؤثرة في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. ناصر العلي الغامدي، (ص: ١١٤).

[مريم: ٥٥]، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، وليعلم أن زكاة المال المقصود بها زكاة النفس؛ كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وكذلك صدقات التطوع المقصود بها زكاة النفس: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup> -رحمه الله- في مجموع الفتاوى: (قد سمي الله الزكاة صدقة وزكاة ولفظ الزكاة في اللغة يدل على النمو والزرع يقال فيه زكا إذا نما ولا ينمو إلا إذا خلص من الدغل فلهذا كانت هذه اللفظة في الشريعة تدل على الطهارة قد أفلح من زكاها قد أفلح من تزكى نفس المتصدق تزكو وماله يزكو يطهر

(١) هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني أحد الأعلام: ولد سنة ٦٦١هـ، وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والشجعان الكبار، أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان، وقد امتحن وأوذى مرات وحُبس، توفي سنة ٧٢٨هـ معتقلاً ثم جهز وأخرج إلى جامع البلد فشاهده أمم لا يحصون فحزروا بستين ألفاً.

انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، (١٩٢/٤).

ويزيد في المعنى<sup>(١)</sup>.

ومن أعظم مقاصد بعثة النبي ﷺ تزكية النفوس<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى:  
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup> - رحمه الله تعالى - : { وَيُزَكِّيهِمْ } أي: يأمرهم  
بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس  
والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم<sup>(٤)</sup>.  
ويقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (جعل المولى سبحانه غض  
البصر وحفظ الفرج هو أزكى للنفس وبيّن أن ترك الفواحش من  
زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٥/٨).

(٢) انظر: تفسير المنار، (٢٠/١١).

(٣) هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري: ولد سنة ٧٠١ هـ، أفتى ودرس وناظر وبرع في  
الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل وله تصانيف مفيدة، منها: "التكميل في معرفة الثقات  
والضعفاء والمجاهيل"، "البداية والنهاية"، "الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن" مات سنة ٧٧٤ هـ.

انظر: ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني، (ص: ٣٨)، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، (ص: ٢٣٩).

(٤) تفسير ابن كثير، (١٥٨/٢).

الفواحش والظلم والكذب ونحوها)<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: من السنة النبوية:

في دعاء النبي ﷺ: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها"<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرَمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهَا وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهَا، وَزَكَّى نَفْسَهُ"، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؟ فَقَالَ: "أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ"<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٠ / ١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم الحديث (٢٧٢٢).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الصغير، رقم الحديث (٥٥٥)، (١ / ٣٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨ / ٣).

## المبحث الثاني: أهمية تزكية المحتسب لنفسه:

تظهر أهمية تزكية النفس عند المحتسب في التالي:

### أولاً: عناية القرآن والسنة والسلف الصالح بتزكية النفس:

وهذا يظهر من مجموع النصوص الكثيرة المتواترة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وأقوال وأفعال السلف الصالح كما جاء ذكره في مشروعية تزكية النفس، فقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بتزكية نفسه أول البعثة كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمَلُونَ \* قُمْ لَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا... إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥]، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧].

وأمر الله بإقامة الصلاة ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿

[الإسراء: ٧٨-٧٩].

فممن برز في الاحتساب وكان صاحب عبادة وتزكية لنفسه؛  
عدد من الأئمة كأحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> وعبد الغني المقدسي<sup>(٢)</sup> وابن  
تيمية وغيرهم<sup>(٣)</sup>، ومن المعاصرين ابن باز<sup>(٤)</sup> رحمهم الله جميعاً.

(١) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، كنيته: أبو عبد الله؛  
وُلِدَ أحمد بن حنبل في بغداد سنة ١٦٤هـ، وعاش يتيماً، وقامت أمُّه على تربيته، قال ابنه عبد الله: قال لي أبو  
زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، من مصنفاته: كتاب العلل، وكتاب الزهد، والمسند؛ توفي سنة ٢٤١هـ.  
انظر: سير أعلام النبلاء، (١١/١٧٨-١٨٧).

(٢) هو: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي، أبو محمد، تَقِيَ الدين، ولد في جماعيل (قرب نابلس)،  
سنة ٥٤١هـ، وله من المصنفات: الكمال في أسماء الرجال، وعمدة الأحكام من كلام خير الأنام، والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، كان لا يرى منكراً إلا غيره بيده، أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة  
لائم، توفي سنة ٦٠٠هـ.

انظر: تاريخ الإسلام، (٤٢/٤٤٦-٤٤٧)، سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٤-٤٥٦).

(٣) سيرتهم في تزكية نفوسهم مبنوثة في كتب السير ومن أبرزها سير أعلام النبلاء.

(٤) هو: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، وأحد  
الأعلام المعاصرين، له تصانيف عديدة منها: فتاوى نور على الدرب، الدروس المهمة لعامة الأمة، التحقيق  
والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب، ولد عام ١٣٣٠هـ، وتوفي عام ١٤٢٠هـ.

انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: <https://binbaz.org.sa>

ونوقشت رسالة دكتوراه هذا العام في قسم الحسبة والرقابة بعنوان: الحسبة عند الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله  
دراسة تأصيلية، حيث ذكر الباحث، د. مناحي الجابر أن الشيخ لم يترك قيام الليل بأحد عشرة ركعة حسب  
إفادة ابنه أحمد.

فالإمام أحمد بن حنبل كان يحيي الليل وهو غلام صغير<sup>(١)</sup>، وابن تيمية كان إذا صلى الفجر جلس يذكر الله تعالى إلى انتصاف النهار، ويقول: هذه غدوتي، ولو لم أتغذَّ الغداء سقطت قوتي<sup>(٢)</sup>، وعبد الغني المقدسي بعد تدريسه للقرآن والحديث يصلي ثلاثمائة ركعة إلى قبل وقت الظهر<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً: أهمية تزكية النفس في قبول الاحتساب وتأثيره في المجتمع:

تزكية النفس أحد الأسباب العظيمة في قبول الاحتساب، وتأثيره في المجتمع، فهؤلاء الأنبياء موسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ختم الله قصصهم في سورة الأنبياء بالإشارة لعبادتهم وأثرها في قبول أمرهم ونهيهم حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، [الأنبياء: ٧٣].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، (١٤٢/٨).

(٢) انظر: الوابل الصيب، (ص: ٦٣).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام، (٥٣٩/١٢).

وفي سيرة نبينا ﷺ ما يدل على اهتمامه بالعبادة وتزكيتة لنفسه، فكان يقول لمؤذنه بلال رضي الله عنه: "يا بلال، أقم الصلّاة، أرخنا بها" (١).

### ثالثاً: شدة الحاجة في هذه الأزمنة لتزكية النفس عند المحتسب:

خصوصاً في زمن الفتن، قال ﷺ: "العِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِيٍّ" (٢)، وقد بوب النووي لهذا الباب الذي احتوى هذا الحديث بـ: (باب فضل العبادة في الهرج).

والمراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط واحتدام أمور الناس، فيحمل أنه في آخر الزمان الذي أنذر به في الحديث بقوله: "ويكثر الهرج" (٣)، ويحتمل أنه عموماً في كل وقت، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٤٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (١٣٠٧/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٩٤٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٥٧).



وفضل الانعزال حينئذ لعبادة الله<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم<sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى - حاثاً على اتباع طريق الرسل في تزكية النفس: (وتزكية النفوس: أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل: فهو كالمريض الذي عالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد، والتسليم لهم، والله المستعان)<sup>(٣)</sup>.

## المبحث الثالث: وسائل تزكية النفس عند المحتسب:

يتخذ المحتسب عدداً من الوسائل بُغية الوصول إلى تزكية نفسه،

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، (٥٠٩/٨)، شرح النووي لصحيح مسلم، (٨٩، ٨٨/١٨).

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ثم الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١ هـ، تفقه في المذهب الحنبلي، ولازم ابن تيمية وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، ومن تصانيفه: "زاد المعاد في هدى خير العباد"، "مدارج السالكين"، "إعلام الموقعين عن رب العالمين" وغيرها، توفي سنة ٧٥١ هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١٧٠/٥ - ١٧٦).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٣٠٠/٢).

وليكون احتسابه ثابتاً ومتبعاً لهدي خير المرسلين ﷺ.

(ولقد كان صدر الصحابة ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض، ولم يكونوا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما؛ وإنما احتاج أئمة الفقهاء إلى ذكر الفرق بينهما؛ لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، وخوف العقاب على الترك، ونفيه إن حصل ترك ما بوجه ما)<sup>(١)</sup>.

وهكذا ينبغي أن يكون المحتسب مقتفياً أثرهم في تلك الوسائل المعينة لتزكية النفس، فمن أبرز هذه الوسائل:

**أولاً: الصلاة،** وهي التي فرضت في السماء السابعة، وهي سبب في النهي عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ومن العبادات الجليلة التي يُحث عليه المحتسب الصلاة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]،

(١) المفهم شرح مسلم، للقرطبي (١/ ١٦٦).

وقال ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢].

فالمحتسب يزكي نفسه بمحافظته على الصلاة ليصبح أكثر ثباتاً على احتسابه.

لكن هناك شرط لذلك وهو أن تُقام بأركانها وشروطها وواجباتها، وكذلك الخشوع الذي زكاه الله في عباده؛ إذ قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وجاء من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، والثمرة في الآخرة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

فيهتم المحتسب بنوافل الصلوات، كالسنن الرواتب وصلاة الضحى وقيام الليل، فعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من صلى اثني عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهنّ بيت في الجنة" (١)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٧٢٨).

أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أُنَامَ حَتَّى أُوتِرَ" (١).

وقال ﷺ في فضل قيام الليل: "أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ" (٢)، وقال: "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ لِلْإِثْمِ" (٣).

**ثانياً: الزكاة،** سواء كانت واجبة أم مستحبة، وهي من أهم وسائل تزكية النفس عند المحتسب، قال تبارك وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، والله تعالى في كتابه العزيز ما أكثر ما يثني على أهل الزكاة، قال تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣٥٤٩)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٤٥٢).

[٣٥]، وقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل "(١)، وقال: "قال الله أنفق يا ابن آدم أنفق عليك"(٢).

**ثالثاً: الصوم،** سواء كان فرضاً أم نفلاً، وهي كذلك من أهم وسائل تزكية النفس عند المحتسب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

إذن فالصيام سبب في حصول التقوى وهو أحد مقاصده العظيمة، لذا على المحتسب العناية بهذه العبادة الجليلة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٤٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٧٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٩٩٣).

ومن صيام النافلة الذي يُحث عليه المحتسب، صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام يوم عاشوراء، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وصيام الاثنين والخميس، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدْعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ صَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلَاةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وَتَرٍ" <sup>(١)</sup>، يوم عرفة، وقال: "ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ" <sup>(٢)</sup>.

والصوم فيه عموم وخصوص وخصوص الخصوص، فأما العموم فهو صوم البطن عن الأكل والشرب والفرج عن الجماع والشهوة، وأما صوم الخصوص فهو خاص بالصالحين، وهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٧٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٢).

خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار  
الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية، وهو مما ينبغي أن  
يحرص عليه أهل الحسبة.

وصوم الخصوص يحصل تمامه بستة أمور، منها:  
غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يؤذم ويكره،  
وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل، قال  
تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ  
أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، وقال تعالى:  
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وحفظ اللسان عن الهذيان والغيبة والنميمة والكذب والفحش  
وإلزامه السكوت، وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن، فهذا صوم  
اللسان، قال ﷺ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا، فَلَا  
يَرْفَثْ، وَلَا يَجْهَلْ فَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ،  
إِنِّي صَائِمٌ" (١).

(١) أخرجه النسائي في سننه، برقم (٣٢٣٩)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم (٩٩٩٨)، وأخرجه مالك في الموطأ،

وكف الاستماع لكل مكروه، وكف بقية الجوارح عن الآثام، وألا يستكثر من ملئ بطنه بالطعام وقت الإفطار فهو شر وعاء يملأ<sup>(١)</sup>.

**رابعاً: الحج،** قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى في سورة الحج: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ أيضاً في فضل الحج والعمرة: "تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا

برقم (١٠٩٩)، واللفظ للنسائي ومالك.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٧٧٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٤٩).



## الجنة" (١).

والحج يجمع عدة عبادات يألفها المحتسب لتزكو بها نفسه، من عبادات قلبية وعملية.

وفيه يمارس المحتسب الاحتساب كما ثبت عن بعض السلف قولاً وعملاً، فقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس رعة<sup>(٢)</sup> سيئة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ثم قال: يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها<sup>(٣)</sup>.

وهذا سفيان الثوري<sup>(٤)</sup> -رحمه الله- يقول عنه شجاع بن

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٧٣٨)، وأخرجه النسائي في سننه برقم (٢٦٣١)، وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٩٧/٣).

(٢) الرعة (بكسر الراء وفتح العين) أصلها من الورع، والرعة: الهدى وسوء الهيئة أو حسن الهيئة، والرعة: ما يظهر من الخلق، انظر: القاموس المحيط، (ص: ٧٧٠)، لسان العرب، (٤٣٦/١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري، (١٠٢/٧).

(٤) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، الكوفي، المجتهد، ولد: سنة ٩٧هـ، ومات: سنة ١٦١هـ،

الوليد<sup>(١)</sup>: (كنت أحج مع سفيان، فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ذاهبا وراجعا)<sup>(٢)</sup>.

**خامساً: تلاوة القرآن،** قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ومن أعظم مقاصده تدبره كما أمر الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، [يونس: ٥٧]، وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى

كان رأساً في الزهد، والتأله، والخوف، رأساً في الحفظ ومعرفة الآثار والفقه، لا يخاف في الله لومة لائم من أئمة الدين، وكان ينكر على الملوك، ولا يرى الخروج أصلاً.

انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٢٩/٧-٢٤٢).

(١) هو: شجاع بن الوليد بن قيس السكوني، الإمام، المحدث، العابد، الصادق، أبو بدر، الكوفي، نزيل بغداد، توفي سنة ٢٠٤هـ، وقيل ٢٠٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، (٣٥٣/٩-٣٥٥).

(٢) المصدر السابق، (٢٥٩/٧).

ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿[الزمر: ٢٣]﴾، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الأعمش<sup>(٣)</sup> رحمه الله: (ومما رفعني الله به القرآن)<sup>(٤)</sup>. فعلى المحتسب أن يتعاهده تلاوة وتدبراً وحفظاً، ولا ينشغل عنه ويضع له فضول وقته بل يفرضه على نفسه كما كان نبينا ﷺ وصحابته من بعده.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٩١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٠٥).

(٣) هو: سليمان بن مهران، الإمام، شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولا هم الكوفي الحافظ، ولد بطبرستان سنة ٦١هـ، كان يعرض القرآن، فيمسكون عليه المصاحف، فلا يخطئ في حرف، مات سنة ١٤٨هـ بالكوفة.

انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٢٧-٢٤٥).

(٤) تاريخ ابن معين، (١/٨٠).

**سادساً: الذكر،** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، وأمر سبحانه المجاهدين في سبيله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وأثنى تبارك وتعالى على قوم هذه صفتهم: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧ - ٣٨]، وفي الحديث: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ" <sup>(١)</sup>، وعند مسلم قال ﷺ: "سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ"، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ" <sup>(٢)</sup>.

والأذكار والأوراد الشرعية كثيرة ومتعددة ومن أبرزها: أذكار الصباح والمساء، وأذكار الصلوات، وغيرها، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أهم أذكار اليوم واليلة في كتابه طريق الهجرتين، ومما قاله: فأول ما يستيقظ أحدهم من منامه يسبق إلى قلبه القيام إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٦).

الوضوء والصلاة كما أمر الله، فإذا أدى فرض وقته اشتغل بالتلاوة والأذكار إلى حين تطلع الشمس فيركع الضحى.. ويأتون بعد الفريضة بالأذكار المشروعة كالاستغفار ثلاثاً، فإذا كان قبل غروب الشمس توافروا على أذكار المساء الواردة في السنة نظير أذكار الصباح الواردة في أول النهار لا يخلون بها بشيء ما أمكنهم، فإذا جاء الليل كانوا فيه على منازلهم من مواهب الرب سبحانه التي قسمها بين عباده، فإذا أخذوا مضاجعهم أتوا بأذكار النوم والواردة في السنة، وهي كثيرة تبلغ نحواً من أربعين، فيأتون منها بما علموه وما يقدرون عليه<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فإن الناس في الذكر أربع طبقات:

**إحداها:** الذكر بالقلب واللسان، وهو المأمور به.

**الثاني:** الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان: فحسن، وإن كان مع قدرته: فترك للأفضل.

(١) طريق المهجرتين، (ص: ٢٠٤) باختصار.



**الثالث:** الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطباً بذكر الله، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيراً إلا حركة لسانه بذكر الله. ويقول الله تعالى: " أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه" (١).

**الرابع:** عدم الأمرين، وهو حال الخاسرين (٢).  
(والأوراد الشرعية حصن منيع، أشد من سد يأجوج ومأجوج، لكن مع الأسف أن كثيراً من الناس لا يعرف عن هذه الأوراد شيئاً، ومن عرف فقد يغفل كثيراً، ومن قرأها فقلبه غير حاضر، وكل هذا نقص، ولو أن الناس استعملوا الأوراد على ما جاءت به الشريعة لسلموا من شرور كثيرة) (٣).  
فذكر الله مما يعين المحتسب في احتسابه على المنكرات، وهو زاد له للاستمرار في طريق الحسبة.

(١) أخرجه البخاري معلقاً قبل حديث (٧٥٢٤)، وأخرجه موصولاً ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (١٠٩٧٦) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٩٠٦).  
(٢) مجموع الفتاوى، (١٠ / ٥٦٦).  
(٣) تفسير جزء عم، لابن عثيمين (ص: ٣٥٤)

**سابعاً: ذكر الموت،** وقد جاءت العديد من النصوص الشرعية وكلام السلف في الحث على ذكر الموت بل الإكثار من ذلك، ومنها:

قوله ﷺ: "أكثرُوا ذكرَ هَازِمِ اللذاتِ"<sup>(١)</sup>، يعني: الموت، ومعناه نغصوا اللذات بذكر الموت حتى ينقطع ركونكم إليها لتقبلوا على الله تعالى<sup>(٢)</sup>، وجاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: "أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ"<sup>(٣)</sup>.

قال الحسن البصري<sup>(٤)</sup> -رحمه الله-: (ما أكثر عبد ذكر الموت

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، وقال: هذا حديث حسن غريب، برقم (٢٣٠٧)، وأخرجه النسائي في سننه، برقم (١٨٢٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٥٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم (٧٩٢٥)، وقال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، (٣/٣٠٣).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، (٤/٤٥٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم (٤٢٥٩)، وقال الألباني: حديث حسن، صحيح الترغيب والترهيب (٣/٣٠٣).

(٤) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، رأى: عثمان، وطلحة، والكبار، وروى عن خلق من التابعين، مات سنة ١١٠هـ، عاش نحو من ٨٨ سنة.

إلا رأى ذلك في عمله ولا طال أمل عبد قطُّ إلا أساء العمل<sup>(١)</sup>.  
وذكر عن أبي حامد اللفاف<sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى -: (من أكثر من  
ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء؛ تعجيل التوبة وقناعة القوت ونشاط  
العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء؛ تسويف التوبة وترك  
الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة)<sup>(٣)</sup>.

ومن الأعمال المعينة على تذكر الموت زيارة القبور، قال ﷺ:  
"نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا"<sup>(٤)</sup>.

فعلى المحتسب الكيس أن يقتفي أثر السلف الصالح في ذكر  
الموت والإكثار من ذلك، فهو زائدٌ يتزود به في طريق احتسابه كما  
كان قدوتنا ﷺ.

انظر: سير أعلام النبلاء، (٤/٥٦٣-٥٨٧).

(١) الزهد للإمام أحمد، (ص: ٢١٨).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، (ص: ٤١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٩٧٧).



**ثامناً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،** قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، وقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

الملاحظ الصلة بين الآيات المذكورة آنفاً، فالفلاح في الآيتين الأخيرتين تعلق بالدعوة إلى الخير وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يدل أن الفلاح المتعلق بتزكية النفس يدخل فيه هذا كله.

إن الدعوة إلى الخير والمعروف تؤكدهما في النفس وذلك يزيكها، والنهي عن المنكر يقبحه في النفس ويزكيها، لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وسائل تزكية النفس.

**تاسعاً: طلب العلم:** قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]،

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، قيل لمعروف الكرخي<sup>(١)</sup>: (طلبت العلم؟ فقال: كيف يخاف الله من لم يعلم؟! كيف يخاف الله من لم يعلم؟!)<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: "وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: "وَأَنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ"<sup>(٤)</sup>، وحتى يؤدي العلم مهمته في تزكية النفس عن المحتسب لابد من أن يتحقق فيه شرطان:

**الأول: العمل الصالح مع الإخلاص لله تعالى.**

فالعلم النافع هو العلم الذي يتبعه العمل الصالح، ويحمل صاحبه

(١) هو: معروف بن الفيزان، أبو محفوظ العابد، المعروف بالكرخي، أحد المشهورين بالزهد وإجابة الدعوة، توفي سنة ٢٠٠ هـ، وقيل ٢٠٤ هـ.

انظر: طبقات الحنابلة، (٢/٤٧٧-٤٩٠).

(٢) طبقات الحنابلة، (٢/٤٨٧).

(٣) صحيح الإمام البخاري، (١/٢٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم (٢٢٣)، وأخرجه أبو داود في سننه، برقم (٣٦٤١).

على الأدب.

عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم  
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ  
لَا تَسْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا" (١).

**الثاني:** أن يتجنب المسلم المرء والخصام في مسائل العلم.  
وهذا الشرط يُجنب المحتسب قسوة القلب، ويجعله يسير على  
نور من أمره، فالجدل والمرء مذمة؛ ولهذا حذر السلف منه (٢).  
(فإذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد  
علماً وأجراً لا حضور مستغن بما عندك طالباً عثرة تشيعها أو  
غريبة تشنعها فهذه أفعال الأردال الذين لا يفلحون في العلم أبداً،  
فإذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيراً على كل حال وإن  
لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٢٢).

(٢) انظر: مؤسوعة الأخلاق، لخالد الخراز، (ص: ١٠٦، ١٠٥).

لخلقك وأسلم لدينك<sup>(١)</sup>.

وطلب العلم للمحتسب يجنبه بإذن الله طريق الغلو، فإن أقواماً  
ابتغوا العبادة، وأضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد ﷺ بأسيافهم،  
ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن تلك الدماء التي أُرِقت<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، (ص: ٩٢).

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة، (١/ ١٢٣).

## المبحث الثالث: ثمرات تزكية النفس عند المحتسب<sup>(١)</sup>:

من أعظم ثمرات تزكية النفس عند المحتسب هي الوصول لمرتبة الإحسان بأن يعبد الله كأنه يراه، وهي مرتبة الأنبياء والرسل والصديقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، وهي تُعين المحتسب للعمل وفق الكتاب والسنة على أكمل وجه، ومن أبرز الثمرات التي يتحصل عليها المحتسب من تزكية نفسه:

### أولاً: حلاوة الإيمان:

قال نبينا ﷺ: "ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: "ذاق طعمَ الإيمان، مَنْ رَضِيَ

(١) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، لأنس أحمد كرزون، (ص: ٤٩٨-٥٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٤٣).

بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا" (١).

في الحديثين السابقين دلالة واضحة على ثمرة تزكية النفس وهي حلاوة الإيمان، "ذاق طعم الإيمان" الحديث: معناه: صح إيمانه وكمل، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالله ربًّا، وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً دليل ثبوت معرفته ونفاذ بصيرته بما رضى به من ذلك ومخالطة بشاشته قلبه، فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وهذا كالحديث الآخر: "وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" الحديث، وذلك أن الإنسان إذا رضى أمراً واستحسنه سهل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المحتسب إذا دخل قلبه الإيمان، سهلت عليه طاعات ربه ولذت له، ولم يشق

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٣٤).

عليه معاناتها، فمتى ما وجد المحتسب هذه الحلاوة بذل جهده  
لنصرة دين الله<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: بذل النفس والمال في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، قال ابن كثير-رحمه الله-:  
(نزلت في صهيب بن سنان الرومي، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد  
الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه  
ويهاجر، فعل، فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه  
الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة. فقالوا:  
ربح البيع، فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه  
أن الله أنزل فيه هذه الآية، ويروى أن رسول الله ﷺ قال له: "ربح  
البيع صهيب، ربح البيع صهيب"<sup>(٢)</sup>).

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) انظر: إكمال المعلم شرح مسلم، (٢٧٠/١)، فتح الباري لابن رجب، (٥٠/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٥٦٤/١).

المنكر، وقيل نزلت في علي رضي الله عنه عندما نام في فراش النبي ﷺ بعد خروجه مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار ثور، وكان كفار قريش يستعدون لقتله<sup>(١)</sup>.

فالمحتسب يبذل نفسه وهي عزيمة عنده لينال ما هو أعز منها وهو رضا الله جل جلاله، ولا يفعل ذلك إلا من تزكت نفسه، وبذل ماله من باب أولى.

### ثالثاً: سمو النفس وعلو الهمة:

المتأمل لسيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام يجدها حافلة بالمواقف التي تدل على سمو النفس وعلو الهمة، فمنها ما رواه ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أُبَيِّتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: "سَلْ" فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: "أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ" قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: "فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق، (١٢٥/٢)، (١٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٤٨٩).



فالحديث فيه دلالة وحث على سمو النفس وعلو الهمة كما فعل ربعة رضي الله عنه، وعليه تكون همة المحتسب عالية وتسمو نفسه الزكية.

### رابعاً: حسن الخلق:

إذا جاهد المحتسب نفسه حتى تبعد عن المعاصي وتقبل على الطاعات وتألف الأخلاق الفاضلة، فإن من ثمرات هذه المجاهدة أن ترسخ الأخلاق الفاضلة عند المحتسب.

وهذا الخلق ينال به المحتسب الدرجة العالية والأجر العظيم، قال ﷺ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"<sup>(١)</sup>، وقال: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ"<sup>(٢)</sup>، وقال: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٠٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح (٣٦٢/٤)، وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير وزياداته (٩٨٤/٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٠١٨)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، (٧٩١).

## خامساً: السعادة في الدنيا والآخرة:

ما يبذله المحتسب من أعمال صالحة في حياته سيكون سبباً بمشيئة الله في سعادته في الدنيا كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وكذلك في آخرته، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يدخلهم الله في رحمته ويشملهم بإحسانه لا محالة، فالسين مفيدة لوجوب الرحمة، فهي تؤكد الوعد والوعيد<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، (وبشر المؤمنين)،

(١) انظر: تفسير الكشاف (٢/٢٠٣)، تفسير السعدي، (ص: ٣٤٤).

المعنى: وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وقوا الله بعهدده، أنه سبحانه مُوفٍ لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة، فالبشارة لم تتناول إلا المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات، ومنهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. (١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وقال ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك في الطريق، فأخّره، فشكر الله له فغفر له" (٢).

وفي رواية لمسلم: "مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحى هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة" (٣).

كل هذه النصوص الشرعية وغيرها كثير تؤكد أن للمحتسب المجتهد في تزكية نفسه السعادة في الدنيا والآخرة.

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥٠٨/١٤)، مفاتيح الغيب، (١٥٦/١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٩١٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٩١٤).

## سادساً: القدوة الحسنة:

بالتزام المحتسب بقدوته ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، يُصبح قدوة لغيره، والقدوة الحسنة هي المثل الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثل الواقعي قد يكون مثلاً حسيّاً مشاهداً ملموساً يقتدي به، وقد يكون مثلاً حاضراً في الذهن بأخباره، وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير، وقصص، وأنباء من أقوال أو أفعال، وجعل الله الذين آمنوا معه، وصدقوا، وأخلصوا، واستقاموا -أمثلة رائعة يقتدى بها في معظم الفضائل الفردية والاجتماعية.

ثم إنّ كلّ عصر من العصور من بعدهم لا يخلو من وجود طائفة من أمة محمد ﷺ تصلح لأن تكون قدوة حسنة، قلّت هذه الطائفة أو كثرت، روى البخاري ومسلم عن معاوية قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على

ذلك" (١)(٢).

والاحتساب بمراتبه الثلاثة (اليَد واللسان والقلب)، لا بد أن يسبقه أعمال صالحة تُعين المحتسب في احتسابه، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، وكانوا لنا عابدين كأنه سبحانه وتعالى لما وفى بعهد الربوبية في الإحسان والإنعام فهم أيضاً وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبادة<sup>(٣)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٤١)، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية، لعبد الرحمن حبنكة الميداني (٢٠٣/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (١٦١/٢٢).

بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿الحجر: ٩٧، ٩٨﴾.

قال الحسن البصري-رحمه الله تعالى-: (إن الرجل ليعمل  
الحسنة، فيكون نورا في قلبه، وقوة في بدنه، وإن الرجل ليعمل  
السيئة، فتكون ظلمة في قلبه، ووهنا في بدنه)<sup>(١)</sup>.

كل هذه النصوص الشرعية وغيرها مما تدل على ثمرات تزكية  
النفس عند المحتسب وتحته على ذلك، فكانت هذه الطاعات  
سبباً شرعياً لقبول إصلاحهم ودعوتهم واحتسابهم.

---

(١) التوبة لابن أبي الدنيا، (ص: ١٤٢).

## المبحث الرابع: معوقات تزكية النفس عند المحتسب وطرق علاجها<sup>(١)</sup>: المطلب الأول: معوقات تزكية النفس عند المحتسب:

إن الطريق لتزكية النفس ليس بالأمر اليسير على النفس، فقد يواجه المحتسب بعض المعوقات التي واجهت غيره، لذا ينبغي أن يحذر المحتسب منها أشد الحذر ويجعل بينها وبينه وقاية، فإن وقع في شيء منها فعليه المبادرة بالعلاج، والمعوقات تنقسم إلى قسمين: ما هو بتأثير الشيطان، وما هو بتأثير الأسرة والبيئة.

### أولاً: بتأثير الشيطان:

العداوة بيننا وبين الشيطان قديمة منذ خلق الله آدم عليه السلام، وهو مستمر على هذا النهج بهمة عالية، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. ولقد حذرنا الله تبارك وتعالى من مكر الشيطان في آيات عديدة

(١) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، لأنس أحمد كرزون، (ص: ٤٢٧-٤٤٩).

في كتابه الحكيم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ  
أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

للشيطان طرق عدة لغواية المسلم عن تزكية نفسه، منها:  
استغلاله لقسوة القلب وأهواء النفس، قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا  
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ  
الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ  
جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وذكر ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: أن الهوى وحده لا يستقل  
بفعل السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى، إذا علم قطعاً  
أن ذلك يضره ضرراً راجحاً: انصرفت نفسه عنه بالطبع، فإن الله  
تعالى جعل في النفس حبا لما ينفعها، وبغضا لما يضرها، فلا تفعل  
ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً، بل متى فعلته كان لضعف العقل  
... ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان، لا من مجرد النفس،  
فإن الشيطان يزين لها السيئات، ويأمرها بها، ويذكر لها ما فيها



من المحاسن التي هي منافع لا مضار<sup>(١)</sup>.

ومن أساليبه التزيين والخداع، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

ومن تمكن منه الشيطان زين له الباطل وراه حسناً ويحسب أنه يحسن صنعاً، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ومن أساليبه التدرج في الإغواء، قال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٩٠، ٢٨٩/١٤).

[الأعراف: ١٦، ١٧].

ذكر ابن القيم - رحمه الله - عن الشيطان وإغوائه للمسلم: أنه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض.  
**العقبة الأولى:** عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإن ظفر بها وإلا طلبه على:

**العقبة الثانية:** وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله، فإن نجا منها وإلا طلبه على:

**العقبة الثالثة:** وهي عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوف به، وفتح له باب الإرجاء، فإن نجا منها وإلا طلبه في:

**العقبة الرابعة:** وهي عقبة الصغائر، وقال له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أو ما علمت بأنها تكفر باجتناوب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصير عليها، فإن نجا منها وإلا طلبه في:

**العقبة الخامسة:** وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، فإن نجا منها وإلا طلبه في:

**العقبة السادسة:** وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضي له.

فإذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها- **وهي العقبة السابعة-**، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبيأؤه، وأكرم الخلق عليه، وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله<sup>(١)</sup>.

فمن صور المعوقات هنا: الرياء وحب السمعة، والعجب، وحب

(١) انظر: مدارج السالكين، (١/٢٣٧-٢٤١).

المال والشرف، وكل ذلك يقدح في عمله ونيته، وقد يحبط عمله، قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال ﷺ في حديث أول ثلاثة تُسعر بهم النار: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ، قال: كذبتُ، ولكنك قاتلتُ لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتُ، ولكنك تعلمتُ العلم ليُقال: عالمٌ، وقرأتُ القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتُ

فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار" (١).

## ثانياً: بتأثير الأسرة والمجتمع (٢):

للأسرة والمجتمع السيء تأثير كبير في تزكية النفس عند المحتسب، وشواهد هذا كثيرة من الكتاب والسنة والتاريخ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [سورة لقمان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

والفطرة السليمة تنحرف وتتأثر بالأسرة وتوجهها وبخاصة الأبوين، قال ﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥).

(٢) يمكن أن يُقال: بتأثير شياطين الإنس.

هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءٍ" (١).

وللصحبة السيئة أثر سلبي في تزكية النفس عند المحتسب، قال الله تبارك وتعالى واصفاً عتاب أحد الأصحاب لصاحبه: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُزِدِنِي \* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصفات: ٥٦، ٥٧]؛ أي: تالله إن كدت لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب، حيث قال يقول له في الحياة الدنيا (٢): ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ \* أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ﴾ [الصفات: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

قال ﷺ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٣٥٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٥٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري، (٥٠/٢١).

الكِير، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" (١).

## المطلب الثاني: طرق علاج معوقات تزكية النفس عند المحتسب:

من أبرز هذه العلاجات:

### أولاً: الاستعاذة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

فعلى المحتسب أن يجعل ديدنه إذا نزغه الشيطان أو همزه أن يبادر بالاستعاذة والالتجاء بالله عز وجل قولاً وعملاً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٥٣٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٢٨).

## ثانياً: ذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

قال نبينا ﷺ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ" (١).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان) (٢).

فإذا عرف المحتسب المنهج الشرعي في التعامل مع وساوس

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٤٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٧٧٦).

(٢) مدارج السالكين، (٣٦٩/٢).



الشیطان وأعظمه ذکر الله فلیلتزم به ولا یتزرکه، فیه یدحر  
الشیطان ویفر منه.

قال ﷺ: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ  
الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ" (١).

**ومن أبرز العلاجات** تقوية الإيمان، وبناء الأسرة على تقوى  
من الله، وصحبة الصالحين وتجنب الأشرار، كما أمر الله تبارك  
وتعالى نبيه ﷺ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ  
فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فصحبة لك كلما لقيتك ذكركت بعب فيك خير لك من  
صحبة كلما لقيتك وضعت في كفك ديناراً (٢).

**وكذلك** إصلاح المجتمع ونصحه وهذه مهمة المحتسب الذي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٧٨٠).

(٢) انظر: تاريخ دمشق، (٦/٢٦١)، وقيل: بحظك من الله، وهو المحفوظ.

يصلح في مجتمعه وينصح له مبتغياً الأجر من الله، قال تعالى:  
﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ  
طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ  
يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٣٢].

**ومن العلاجات** كذلك الهجر والعزلة وهو منهج شرعي يحفظ  
به المحتسب دينه بعد أن بذل وسعه مع صاحب المنكر، قال  
تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى  
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ  
الدِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨].

وقال ﷺ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ  
نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ:  
إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ،  
فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ  
عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ،  
وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا

أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا  
أَرْضٌ سَوَاءٌ ... الحديث "(١)".

وهكذا تعتبر وسيلة الهجرة والعزلة وقاية للمحتسب بعدما بذل  
وسعه وقدرته في تغييره للمنكر، وهي وسيلة مؤثرة إن استخدمت  
في محلها الصحيح.

## مسألة: حول تزكية النفس ومدحها بالحق للمصلحة أو شكر النعمة:

قال القاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى - في قصة يوسف - عليه  
السلام - عند قوله تبارك وتعالى: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ  
إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِمُ} [يوسف: ٥٥]، (فيها دلالة على أنه يجوز  
للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه وأنه ليس من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٦٦).

(٢) هو: أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، صاحب (التعليقة)  
الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب ولد سنة ٣٨٠هـ، وكان عالم العراق في زمانه، مع معرفة بعلوم القرآن  
وتفسيره، والنظر والأصول، توفي: سنة ٤٥٨هـ.  
انظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/٨٩-٩١).

المحظور<sup>(١)</sup>.

قلت: وهذا متعلق بعدم دخول الإعجاب لقلب المحتسب وإلا  
لأصبح مذموماً يقدر في نيته واحتسابه.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، (٤٦٤/٣).

## الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف عباد الله  
أجمعين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى  
أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فمن خلال بحثي في موضوع **تزكية النفس عند المحتسب**  
توصلت إلى النتائج التالية:

- ١- المحتسب بحاجة ماسة لتزكية نفسه نظير ما يحصل له من مواقف احتسابية ليكون له زاداً يقوي بها إيمانه، ويثبت في طريقه.
- ٢- يَجُوزُ للمحتسب أن يَصِفَ نفسه بالفضل عند من لا يعرفه وأنه ليس من المحظور مع مراعاة البعد عن الإعجاب بالنفس.
- ٣- تعدد وسائل وثمرات تزكية النفس، مما يعطي المحتسب خيارات واسعة ويُنشطه أكثر للسعي في تحصيلها.
- ٤- إغلاق الطريق ضد معوقات تزكية النفس عند المحتسب وعلاجها مما يعطي ثمرة كبرى للاحتساب.

**ومن التوصيات التي أوصي بها في نهاية هذا البحث:**

١- النظر في تدريس تزكية النفس في أقسام الحسبة بالجامعات والمعاهد.

٢- ينبغي على المحتسبين أن يسعوا في تزكية أنفسهم بعدة طرق منها قراءة سير السلف الصالح وفقهم في ذلك، ومن أبرزها كتاب تزكية النفس لابن تيمية رحمه الله، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي.

٣- إذا اعترض المحتسب إحدى معوقات تزكية النفس فعليه المبادرة في علاجها وفق الشرع الحنيف.

هذا ما تيسر جمعه وبخه، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت أو أخطأت فمن نفسي والشيطان.

## المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣. صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤. سنن الإمام النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥. سنن الإمام أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السّجستاني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٦. جامع الإمام الترمذي، محمد بن عيسى بن سّورة، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.

٧. سنن أبي ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٨. مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون،



إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر مؤسسة الرسالة،  
الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٩. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني،  
المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان  
للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى،  
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٠. المعجم الصغير الطبراني، المحقق: محمد شكور أمير، المكتب  
الإسلامي دار عمار-بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ -  
١٩٨٥ م.

١١. السلسلة الصحيحة للألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر  
الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي الألباني، مكتبة المعارف للنشر  
والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

١٢. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني،  
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية،  
الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر  
الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي الألباني، المكتب الإسلامي.  
١٤. تفسير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،  
سورية-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم  
الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة  
وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت  
- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

١٦. تفسير ابن كثير المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة  
للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٧. مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت،  
الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١٨. دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، المحقق: د.  
محمد السيد الجليلند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة الثانية،  
١٤٠٤ هـ.

١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في  
وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: عادل عبد  
الموجود، وعلي معوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -  
١٩٩٨ م.

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن  
السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مكتبة العبيكان.

٢١. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي  
رضا الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٢٢. تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا للنشر،

بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

٢٣. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم،

للحميدي، مكتبة السنة - القاهرة - مصر، تحقيق: د. زبيدة محمد

سعيد عبد العزيز، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد

الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: مجموعة باحثين، الناشر:

مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار

الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٥. شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم

بفوائد مسلم، المحقق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر

والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.

٢٧. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق-سوريا، سنة النشر: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة الأولى.

٢٨. لسان العرب لابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٢٩. الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م،

٣٠. مشارق الأنوار على صحاح الآثار لليحصي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٣. القاموس المحيط، للفيروز آبادي.
٣٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.
٣٥. معالم القرية في طلب الحسبة، لابن الأخوة القرشي، دار الفنون «كمبردج».
٣٦. القواعد الأصولية المؤثرة في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. ناصر العلي الغامدي، رسالة دكتوراه، مؤسسة الدرر السنية، السعودية، الظهران، ١٤٣٦ هـ.

٣٧. منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أنس أحمد كرزون، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، عام ١٤١٥ هـ.

٣٨. تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي، المحقق: د. أحمد محمد نور سيف، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣٩. تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٤٠. طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي أبو الحسين، المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر:

الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة سنة على تأسيس المملكة، سنة  
النشر: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٤١. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن  
أحمد بن رجب، الحنبلي، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،  
مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.  
٤٢. ذيل تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي  
بن الحسن الحسيني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ -  
١٩٩٨ م.

٤٣. ذيل طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين  
السيوطي، المحقق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.  
٤٤. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد  
الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى،  
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.



٤٥. سير أعلام النبلاء للذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف  
الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، سورية-دمشق، الطبعة  
الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٤٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق:  
مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٤٧. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن  
عثمان ز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة  
الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٨. ذيل تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي  
بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية،  
الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٩. ذيل طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين  
السيوطي، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية.

٥٠. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٥٢. إحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة - بيروت.

٥٣. الزهد للإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٤. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، حققه وعلق عليه: يوسف بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٥. موسوعة الأخلاق، لخالد الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٥٦. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٧. الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٨. التوبة لابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، دار النشر مكتبة القرآن، مصر.
٥٩. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح الحنبلي، عالم الكتب.
٦٠. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن القيم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن بن قائد، دار عالم الفوائد.

٦١. طريق المهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، دار

السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤ هـ.

٦٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم

الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

## فهرس المحتويات

١	مقدمة.....
٣	أولاً: تعريف تزكية لغة واصطلاحاً.....
٤	ثانياً: تعريف النفس لغة واصطلاحاً.....
٤	ثالثاً: تعريف تزكية النفس.....
٥	رابعاً: تعريف المحتسب لغة واصطلاحاً.....
٦	خامساً: تعريف تزكية النفس عند المحتسب.....
٦	المبحث الأول: مشروعية تزكية النفس.....
٦	أولاً: من القرآن الكريم.....
٩	ثانياً: من السنة النبوية.....
١٠	المبحث الثاني: أهمية تزكية المحتسب لنفسه.....
١٤	المبحث الثالث: وسائل تزكية النفس عند المحتسب.....
١٥	أولاً: الصلاة.....
١٧	ثانياً: الزكاة.....
١٨	ثالثاً: الصوم.....
٢١	رابعاً: الحج.....
٢٣	خامساً: تلاوة القرآن.....

سادساً: الذكر	٢٥
سابعاً: ذكر الموت	٢٨
ثامناً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٠
تاسعاً: طلب العلم	٣٠
المبحث الثالث: ثمرات تزكية النفس عند المحتسب	٣٤
أولاً: حلاوة الإيمان	٣٤
ثانياً: بذل النفس والمال في سبيل الله	٣٦
ثالثاً: سمو النفس وعلو الهمة	٣٧
رابعاً: حسن الخلق	٣٨
خامساً: السعادة في الدنيا والآخرة	٣٩
المبحث الرابع: معوقات تزكية النفس عند المحتسب وطرق علاجها	٤٤
المطلب الأول: معوقات تزكية النفس عند المحتسب	٤٤
أولاً: بتأثير الشيطان	٤٤
المطلب الثاني: طرق علاج معوقات تزكية النفس عند المحتسب	٥٢
أولاً: الاستعاذة	٥٢
ثانياً: ذكر الله	٥٣
الخاتمة	٥٨